محور أبحاث
اللغة وآدابها

المرجعية السيرية التاريخية في النثر الفاطمي

الأستاذ الدكتور
أمحمد حسين المهداوي
كلية التربية للعلوم الانسانية-جامعة كربلاء
قسم اللغة العربية

الباحث
محسن علي حسين العرباوي
مديرية تربية محافظة النجف الاشرف

ملخص

بما أن الدولة الفاطمية تعتني بالتأسيس التاريخي لفكرها؛ فإننا نجدهم يستعينون بمضامين تاريخية تسهم في تقوية حججهم من جهة، وفي تعضيد نصوصهم النثرية الفنية من جهة أخرى، ذلك أن المضامين التاريخية ذات فاعلية كبيرة في تفجير طاقات النص؛ لذا نجد النثر الفني الفاطمي مليء بالمضامين التاريخية التي ساعدت المبدع على نقل الوقائع للمتلقي بطريقة فنية، ولذا نجد أن النثر الفني الفاطمي، لم يقتصر على مرجعية تاريخية واحدة، بل كانت المرجعية التاريخية موزعة في نصوصه، التي تعود إلى عصور مختلفة، وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على ثقافة العطاء متأصلة عندهم؛ لإرتباطهم الوثيق بوطنهم، وهذا ما أكّده الفاطميون في نصوصهم التي ضمنوها حوادث التاريخ المختلفة، وعليه جاءت المرجعية التاريخية في النثر الفني الفاطمي بمضامين تاريخية قديمة، ترجع إلى عصر قبل الإسلام، ومضامين تاريخية إسلامية، من حوادث، ومعارك وغيرها.

١- الموروث التاريخي قبل الإسلام:

جاءت المرجعية التاريخية القديمة، بتضمين النثر الفني الفاطمي بالموروث التاريخي، قبل الإسلام، بما يسهم في ثراء النص النثري، إذ نجد المبدع يغوص بعمق التاريخ ليستخرج نفائسه ويضمنه في نصه، سواء كانت تلك المرجعية عن قصص الأنبياء والمرسلين، ام حوادث وقعت قبل الإسلام. بما يعني "بصورة أساسية، بالجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية، سواء كان في مجال العقيدة، أم في اللغة والأدب"[١]، وهذا ما دأب عليه الكتاب الفاطميون.

وجاءت المرجعية التاريخية في دعاء المعز لدين الله الفاطمي، بقوله: "**وصلِّ اللهم على نَجِيّك موسى بن عمرانَ ... وجعلتَهُ بابَكَ ومحرابَكَ، وبيت نُورِك، والسَّبب بينك وبين خلقِكَ إلى انقضاء دورِهِ. فبلَّغ، وأعذَرَ، وهدى، وأنْذَر فَكذَّبه الأكثرونَ، وضَّاده المفترون، كالعِجْل، والسامريُّ، وقارون، وغيرهم من الفراعنة الملاعين**"[٢].

استند خطاب الدعاء إلى مرجعية تتصل بالحضارة المصرية القديمة فالبيئة المصرية من البيئات التي نشأت عليها وانطلقت منها دعوات الأنبياء **(عليهم السلام)**، وحدثت مواقف تُستشف منها الحِكم والعبر نحو ما هو مذكور هنا في قصة السامري وعجله المصنوع من الذهب الذي أراد به إغواء أقوام في مصر وجعلهم يتركون ما دعاهم إليه النبي موسى **(عليه السلام)** من عبادة الله (عز وجل)، فالنص يكتنز ثقافة تاريخية أصيلة، ومهمة لدى المتلقي، فهي ذات جذور مصرية ترجع إلى احداث وقعت قبل الإسلام، إذ جاءت حادثة (العجل)[٣] كمرجعية تاريخية في دعاء المعز، فأصبح النص النثري ثرياً بالدلالة الفكرية التي تذهب بالمتلقي إلى التاريخ القديم، ومعرفة ما عاناه الرسل من أقوامهم، فأسهمت الحادثة التاريخية في بناء النص، بما يكشف عن المخزون

الثقافي التاريخي للخليفة وقدرته الفنية في مواشجة النصوص الأدبية.

ولا سيما أن النص يستدعي تجارب الأمم السابقة، ليسقطها على عصر الخلفاء الفاطميين، فتكون المضامين النثرية رسالة للمتلقي، تبين أن الخليفة الفاطمي يمثل دور الأنبياء السابقين الذين تعرضوا للأذى من قبل الطغاة، فقارون كان عدوا لموسى النبي الذي كان مكلفاً بالدعوة الإلهية، كذلك الفاطميون يمثلون – بحسب عقيدتهم– خلفاء شرعيين يمثلون الحق الألهي على الأرض، إذ " ميز النظرة الدينية – السياسية للفاطميين، مبدأ الشمولية على أنها ذروة العملية التاريخية" (٤)، حيث يعدون أنفسهم الامتداد لرسالة الأنبياء، حيث " تجذرت ولاية الفاطميين في الاعتقاد الشيعي باستمرارية الهداية الإلهية الموروثة عبر سلسلة من الأنبياء والأئمة المنصوص عليهم"(٥)، فالنص النثري يوحي بأن المكلف بالرسالة – الخليفة الفاطمي– لابد من أن يُعارَض ويحارب من قبل أعدائه، بوصفه مكلفاً للقيام بأمور الدعوة، ومُنصب بأمر إلهي – بحسب المفهوم الإسماعيلي، فإنه لابد من أن يُعارَض هو الآخر، ويُحارَب.

فالفاطميون يعتقدون بأن " الإمام في المذهب الإسلامي الشيعي الإسماعيلي، ليس إماماً فقط للإسماعيليين، وإنما لكافة المذاهب الإسلامية، ولبني البشر عامة، إعتقد أتباع هذا المذهب أو ذاك بإمامته، أم لم يعتقدوا"(٦)، فكان غاية التوظيف لهذه الشخصيات التاريخية، هي لبيان القرينة ما بين دور الأنبياء والخلفاء الفاطميين من جهة، والفراعنة بمعاداتهم للمصلحين واعداء الخلفاء الفاطميين من جهة أخرى.

وجاءت المرجعية التاريخية في سجلِ عن الظاهر لإعزاز دين الله، وأمر بتلاوته في كل ناحية من البلاد، "**ولما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته، وصيَّر سعد العالمين في ضمن إيالته، وأعلى بسط قدرته وتمكينه، وجعله الظاهر لإعزاز دين**

الله كامل الحال في ذلك، تأمل المؤيد حكمة المسدد عزمه، الكاشف بهداية الله لغوامض الأشياء علمه، فوضح له أن السبب فيه والداعي إليه ما كان اعتمده جهله، مرقوا عن الدين وفسقوا عن أمر الأئمة الراشدين، من تحريف الكلم عن مواضعه، وتأول ما يسمعونه من العلم بغرائب الجهل وبدائعه ... ورفع العلم تنزيهاً له عنهم لعظيم دينهم، كما رفع التابوت عن كفرة بني اسرائيل، وفيه سكينة من ربهم، لا جرَم إنا تتبعناهم في الأقطار، وبوأنا لهم مباء الخزي والصغار"[٧]، وهنا أشار الخليفة الفاطمي إلى حادثة (رفع التابوت)، عن بني اسرائيل، وهو من الحوادث التاريخية المهمة التي جَرت على بني اسرائيل، وقد قصد الخليفة من توظيف تلك الحادثة التاريخية، تعبيراً عن ردة فعله وبعد (قتل الكفرة من اصحاب الأجدع، وتتبعه في الأقطار) [٨]، وهؤلاء من الأقوام المغالين في الدولة الفاطمية، الذين أرادوا تضليل الناس، فكانت أفكار الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، في تعضيد نصه بحادثة التابوت متواشجة مع وقوع النهاية لأتباع– الأجدع –؛ إذ إن الانحراف التي جاءت في النص المعبر عن تعاليم السماء تؤدي إلى الخسران المبين، وهذا ما مثل به الخليفة بحادثة (رفع التابوت) [٩]، فتوظيف هذهِ الحادثة جاء بمعنى رفض الممارسات الخاطئة في الدولة من قبل أتباع الفاطميين، والخليفة الفاطمي يحاول إيصال رسالة إلى المتلقي، بوجوب إطاعة الخلفاء.

إن مرجعية الخليفة التاريخية، هي تعبير عن صورة الاستقامة في العمل، والاخلاص لدين التوحيد، فضلاً عن أنه تعبير حقيقي عن المرحلة التاريخية التي تعيشها الدولة الفاطمية في عهدهِ، معرفة فضل الفاطميين، فالخطاب هنا يستعيد حادثة تابوت النبي (اليسع) **(عليه السلام)** الذي حمله بنو إسرائيل لمدة بعد وفاته ليحتجوا على الله تعالى بطلب النصر، وعلى أعدائهم بالتسليم

بالهزيمة فرفعه الله تعالى بسبب ذلك إلى السماء وكان ذكر هذه القصة النبوية من قبل الخليفة الفاطمي حينما قُتلِ الحسن بن حيدرة الفرغاني، فحمله في تابوت ودفنه على عجالةٍ ؛ وذلك ردءاً وردعاً لما قد يحدث في أثناء تشييعه فذكر لهم أنّ عمله جاري على سنة الله التي أجراها في رفع تابوت نبيه "اليسع"؛ وهذا يدل على الحذر من قدسية "الفرغاني" عند بعض الشعب من اتباع مذهبه التي يمكن أن تتحول إلى حراك عسكري ، ودعوة ثأرية متأججة بمشهد جثمانه في التابوت.

ومن هنا فإن رفع التابوت، جاء قرينة إلى غضب الخليفة السابق الحاكم بأمر الله الذي رفض ممارسات (الفرغاني)، وهو ما أشار اليه الخليفة الظاهر بقوله : " وقد كان باب الحكمة مفتوحاً، وكنز الرحمة ممنوحاً، وشرع العلم للطالبين مباحاً، ومفتاح الرحمة مقبولاً مباحاً، وبحر الحكمة مسجوراً متاحاً، إلى أن أمر مولانا الحاكم بأمر الله بإغلاق بابها لما رآه من المصلحة، بحكم مشاهدته الأمور، وسياسية الجمهور، وإذ كان الكلام في عصره حكم ينفرد بقضيته، ويتوحد بمزيته، بذلك جرت أحكام أئمة الهدى على مر الزمان"[١٠]، ففي هذا التوظيف عبرة وحكمة للناس، تتمثل ببيان التشابه بين أيام الأنبياء السابقين، وأيام الخلفاء الفاطميين الذين يمثلون امتداداً لرسالة الانبياء –بحسب فهمهم– وكأن الأيام دول تعيد نفسها، وكأن هذا الموقف يمثل مصداقاً لمواقف الأنبياء في قديم الزمان، ومن ثم فهو مدعاة للالتزام بالأمور الالهية، في طاعة الخليفة والنهي بنواهيه.

وجاءت المرجعية التاريخية عن الخليفة الآمر بأحكام الله بتسويغ أحقية المستعلي[١١]– والد الآمر– في الخلافة، قوله: ".. **وذلك أن مَنْ صَدَّ عن حدود الله اليه وعلومهم الإلهية، وتأول على الولاية، وتحكَّم في الإمامة، ونبذ عهد الإيمان وراء ظهره، فأشباه هؤلاء يقال لهم: اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة**

إلى رتبة الغواية العامة، التي هي كالمصر الجامع لأصناف الناس، والمشتمل على مختلف البرايا والأجناس فإن الآراء المختلفة والمذاهب المفترقة لا توجد في جماعة الدعوة وحريم الإمامة، وقد ضرب الله عليهم الذّلةَ والمَسكنةَ لتقهقرهم وارتدادهم وعدولهم عن سنن رشادهم، فإن العزَّة إنما هي مرتبة الإيمان التي أخلَّوا بها ولم يتمسكوا بسببها، ولهذا باؤا بغضب من الله حين فارقوا رحمته التي هي عصمة إمام الزمان" [١٢]، أشار الخليفة الفاطمي إلى حادثة تاريخية وقعت لقوم موسى- بني اسرائيل - حينما دعا عليهم [١٣]، لما كان الخليفة الفاطمي في موضع الدفاع عن والده باستلام الخلافة؛ كان لابد له أن يستحضر منزلة الخلفاء الفاطمين عند الله- حسب زعمه-، وبيان وجه الشبه بينهم وبين أنبياء الله السابقين، عندما غضبوا على قومهم، ودعوا عليهم، فباؤوا بغضب من الله؛ ولاسيما أن الفاطميين ذهبوا إلى معنى (اهبطوا) " أن الناطق **(عليه السلام)** يقول لقومه ادخلوا في طاعة الإمام صلوات الله عليه، فإن لكم ما سألتهم من فوائد العلم وعوائد رحمة الله وثوابه، فهذا قول موسى لقومه وكذلك قول محمد لقول صلى الله عليه وكلام يأمر بطاعة الإمام بعده"[١٤]، ولما كانت الاقوام تتشابه في عدم الطاعة، والعصيان، كانت العقوبة واحدة لهم؛ ذلك أن الفاطميين يعتقدون بأنفسهم ما يثبتونه للأنبياء في افتراض الطاعة لهم، فـ "نظرية الفاطميين الاسماعيليين في الإمامة وبخاصة الولاية، أو موالاة الإمام وإطاعته، بصفتها الشرط الأولي للإيمان، ولكونها أولى الدعائم السبعة للإسلام"[١٥]، لذا عبر عنها الخليفة الفاطمي بأنها عصمة إمام الزمان.

وكان لهذه المعطيات التاريخية أثرها البارز في اغناء النص النثري، وإثرائهِ بالمعاني الدالة على عظمة منزلتهم، وتحذير الناس من الخروج على أوامرهم، اعتمادا على الخلاف

الذي حدث بين- نزار والمستعلي- على تسنم الخلافة، فالنص المقتبس من قصص بني إسرائيل هو نص يراد منه الترهيب والوعيد الذي ينتظر كل قوم يؤول عملهم إلى ما يماثل عمل بني إسرائيل الذي وجب عليهم العذاب، وإنّ هذا الشاهد التاريخي عامل تثقيف معنوي مساعد يستهدف رفد الجمهور بالوقائع التي تنذرهم بعواقب الأمور ، وهي مرجعية لها صداها النفسي والاجتماعي والسياسي، فالمرجعيات الثقافية من أهم مصادر الفكر السياسي، والإجراء الاستراتيجي للوصول إلى الغايات والأهداف.

وجاء عن الحافظ لدين الله في نسخة بولاية العهد "... **ولو أنَّ ذِكْرَكَ شذَّ لتبدَّى في الآياتِ والذّكر الحكيم، ولو أنَّكَ طَلْعتَ على الأولين لما تساءلوا ولا اختلُفوا في النَّبأ العظيم، ولو أنَّ قديماً علا فوق كلّ حديثٍ لقامَ لك الحديثُ مقامَ القديم، ولو أنَّ جميعَ الأنام في صعيدٍ واحدٍ لصَعِدَتْ دُونَهم المَقامَ الكريم، ولو أنَّ يَدَكَ البيضاء تَجسَّمَتْ للناظرين لأعدتَ آية موسى الكليم**" (١٦)، يبين الخليفة الفاطمي باعتماده على اية الله للنبي موسى (١٧)، وجعل الله يده البيضاء دلالة تعبيرية للمتلقي، ترسم صورة جميلة؛ فقد جعل الخليفة سيرة ولده معادلاً موضوعياً لذرية النبي موسى بدلالة النقاء والتأييد الإلهي له.

فالسلطة الروحية هي المهيمنة على النص النثري؛ بدلالة المعاني الموظفة والمرتبطة بالنبي موسى **(عليه السلام)**؛ فالنص يعمد إلى الإشارة والالتفات إلى أهمية الخلفاء الفاطميين، ومنزلتهم عن الله – بحسب عقيدتهم- ؛ لذا نجد الخليفة الفاطمي يفخر بولي عهده، الذي أضفى عليه سمات الصالحين، من أنبياء الله، بهدف ترسيخ أفكار خاصة لدى المتلقي، تتمثل بصرف الأذهان إلى أن الفاطميين موازين للأنبياء بكرامتهم على الله، لقد " لقيت نظرية الحق الملكي المقدس قبولاً عند الخلفاء الفاطميين، وأصبح الإمام في نظر العامة ظل الله على الأرض،

فأوامر الخليفة الفاطمي ونواهيه صادرة عن الله الذي أملاها على الإمام المعلم"[١٨]، فكل ما يصدر منهم من الله – بحسب عقيدتهم– ؛ لذا جاء الخليفة بتوظيف حادثة (اليد البيضاء) للنبي موسى، كقرينة لمقام الخلافة الفاطمية، التي يختارها الله – بحسب عقيدتهم– على شرائط خاصة، وذلك من قبيل قول الخليفة في ولي عهده، : " ..... وعليك من سرائر أنوار الله ما يُغنيك أن توصى، ولديك من ظواهر لطائف الله ما تميَّز به الخلق إذ أضحيتَ بهِ مخصوصاً، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرت عليك أياتُه نصوصا..."[١٩]، وبهذا يستمر الخليفة بتعداد حسنات ولي العهد، تمهيداً لترسيخ فكرة قبوله لدى العامة من الناس، فضلاً عن الخواص، لما يتمتع به من كرامات باطنية لم يعرفها إلا الخليفة نفسه، والتي يشير إليها في النص عبر تعضيد تلك الفضائل بمعجزات الانبياء، والتي تمثل مسوغاً لهم في صحة نبوتهم، كما إن توظيف تلك المعجزات وإلصاقها بالخلفاء الفاطميين تمثل لهم تسويغاً لقبول خلافتهم الإلهية –بحسب العقيدة الفاطمية.

وجاءت المرجعية التاريخية في مدح الشيء وذمه؛ إظهاراً لقدرة الكاتب، بقول ابن الصيرفي "**ما من شيءٍ إلا وله وَجْهان؛ فالمادحُ يذكُرُ أحْسَنهما، والذامُ يذكُرُ أَقبَحْهما**". **وَقد رُوي عن عيسى (عليه السلام) أنه مرَّ هو وأصحابه على كلبٍ ميِّتٍ فقال بعضهم: ما أنْتَن ريحَهُ، فقال عيسى (عليه السلام): ما أشدَّ بياض أسنانه. فَسَلَّم لعاتِبه ما ادَّعاه من مساوئهِ وذكَرَ من محاسنهِ ما لم يُنازِعْه فيه. والمملوك يقول: إنَّ مِن أبدعِ الكلامِ قولَ الحكيمِ: لا عشتُ ليومٍ أمدَحُ فيه ما ذممتُهُ، ولا أذُمُّ فيه ما مَدَحْتَه؛ ذلك يومُ ظفَرِ الهوى بالرأي**"[٢٠]، استدعى الكاتب دلالة الحادثة التاريخية؛ لتكون معادلاً موضوعياً للأثر النفسي الذي يشعر به الكاتب، نتيجة اقصائه من دار الخلافة، فهو يستجدي العطف

بتذكير – الأفضل – على الانتباه إلى بعض محاسنه، وإنْ استحق العقوبة منه؛ لذا فإن توظيف التجارب الواقعية له دور في تفجير طاقات المبدع؛ فنجد "مشاعر الأدباء المصريين تُعبِّر أروع تعبير عن التلاحم بين الأدب والتاريخ في التراث المصري"[٢١]، لتحقيق غاية في نفس المبدع، لذا نجد التداخل بين توظيف الحادثة التاريخية، وغاية الكاتب في طلب الصفح، جاء باتجاهين متقابلين، لتنبيه المتلقي على حقيقة واقعية، هي لاكمال مطلق للأشياء.

فبياض أسنان الكلب هو رمز للمحاسن التي عبَّر بها النبي عيسى **(عليه السلام)** إلى عدم كمال الشيء، أو ربما هو إشارة أراد بها إلى النظر إلى محاسن الشيء قبل مادتهِ، وفيما رسالة للمتلقي، ودرساً في التعامل مع الأنسان، لذا كانت هذهِ الحادثة تحمل أسس فكرية تقوم على عدم اطلاق الأحكام جزافاً، إلا بعد دراية، وعناية، وهذا ما قصده الكاتب، معبراً عن مكوناته النفسية، حيث أنه كان مصداقاً لقول الحكيم، "لا عشت ليوم أمدح فيه ماذممته" فهو لم يصدر منه سوءاً تجاه الأفضل، فضلاً عن أن هذهِ الحادثة تحمل مضموناً خفياً في استفزاز مشاعر الأفضل بعدم التسرع باطلاق الأحكام، وأن ينظر إلى محاسن الاشياء قبل مساوئها.

ووظف الكاتب المرجعية التاريخية في ذكر (خيمة الفرج)، "**لما خرجت أوامر مولانا – ثبت الله دولته – بإنشاء خيمةٍ للنظر ... فجاءت توفي الجلالة على إيوانِ كسرى، وظللّت الأبصار في أرجائها الفسيحة خاسئة حَسْرى .. وتَضمنَّتْ من صُور ناطقِ الحيوانِ وصامتهِ ما أحاط بالحسن واستولى على غايته، تَخالها حومةَ وغىّ، لما اجتمع فيها من المقانب والجيوش، أو بيداءَ لا محيصَ عنها لأنواع السّباع والوحوش قد حَوَتْ آفاقُها متضادَّ الحيوان بلا أذىً ولا ضَيْر، فكأنَّه فيها سليمانُ وقد حُشِر له جنودُهُ من الجنِّ والإنس والطيِّر، وفي يوم إظهارها ونَصْبِها، واستقرار**

جلوسه الأشرف الأسنى بها، وَهَبَ الأموال الجَمَّة، وعمَّ الإحسانِ الأمة"[٢٢].

استدعى الكاتب هنا في وصف خيمة (الخليفة الفاطمي)، وهيمنته في دولته، الحوادث التاريخية بخروج النبي سليمان **(عليه السلام)** أيام ملكه[٢٣]، إذ يلحُ الكتّاب الفاطميون – غالباً– على التمثيل بالمواقف التاريخية للأنبياء الأوائل **(عليه السلام)**؛ وذلك لقدسية المرجعية الثقافية السيرية لها عند عامة الشعب ، فالشعب المصري يتكون من مجتمعات دينية تؤمن بسيرة الأنبياء **(عليهم السلام)**، وأعمالهم وسياستهم ، وهنا حاول الكاتب التقريب التمثيلي بين المدد الإلهي الذي مُنح للنبي سليمان **(عليه السلام)**، والمد العسكري والسياسي الذي يحظى به الخليفة الفاطمي ؛ وذلك خدمة للفكرة التي يريد منها الكاتب التقريب من دولتهم. ، واعلان الولاء لها، فضلاً عن أن توظيف الأحداث التاريخية وايجاد الترابط الشرعي لها مع سيرة الخلفاء الفاطميين يسهم كثيراً في انتشار "الدعوة الفاطمية التي وَجَدَتْ طريقها إلى كثير من قلوب المصريين، وأصبحت لهم غلبة، وصولة في توجيه مسير الأحداث في مصر"[٢٤]، وهذا ما يسعى إليه اتباع الدولة في الدفاع عنها، وتثبيت أحقيتها في الخلافة.

لذا جاء التشبيه في النص ما بين ايوان كسرى، وخيمة الخليفة الفاطمي، لخدمة غرض الكاتب الذي أشار إلى الهيبة الفاطمية التي لم تكن هيبة ملوك فحسب، بل هيبة قدسية شابهت النبي الملك، وهذا لم يتأت إلا بالإيمان بالفاطميين ورثة للأنبياء، ولاسيما أن الدولة الفاطمية اصبحت ذات نفوذ قوي، فـ" قد وصلت الخلافة الفاطمية إلى حد أنها كيفت نفوذها وظفرت بأن تصبح الدولة الإسلامية الوحيدة ذات النفوذ العظيم شرقي البحر المتوسط"[٢٥]، لذا فالمقارنة بين دولة النبي سليما والخلافة الفاطمية لم تكن عفوية من قبل الكاتب، الذي جعل من توظيفه

لملك سليمان دلالة تأثيرية على المتلقي، تفيد اخبار العامة بأهمية هذهِ الدولة، وشدة سطوتها، وهيمنتها على العالم الإسلامي.

٢- المرجعية التاريخية الإسلامية:

وظّف المبدعون عصور التاريخ الإسلامي، بحوادثه المهمة، ووقائعه المشهورة في نتاجهم الأدبي، ليجعلوا من نصوصهم، نصوصاً متوهجة بالطاقات التعبيرية التي تعبر عن ثقافتهم فكرياً؛ إذ إن المرجعية التاريخية الإسلامية تعنى "بالتصورات، والقيم، والمبادئ التي يلتزمها المبدع في كلامه، أو ما يعبر به عن المبادئ والمفاهيم المنبثقة من الإسلام"[٢٦]، التي تعين المبدع على تعضيد كلامه، أو تقريب إيصال فكرة المبدع إلى المتلقي، وبهذا تكون المرجعية التاريخية الإسلامية مهمة جداً، كونها تمس الواقع الحياتي للمبدع.

إذ خطب المنصور بالله الفاطمي في (يوم النحر)، وقد حدَّد شروط الأضحية فقال: "**ألا وإنَّ يَومَكم هذا هو يَومُ حرام من شَهرِ حرام، يعظم على الأيام: يوم الحج الأكبر، امتحن الله تبارك وتعالى فيه إبراهيم خليله، وفدى فيه من الذبح ولَدَه (صلى الله عليه وآله وسلم) وافترض على كافة أهل الإسلام، الحج إلى بيته الحرام، الذي جعله مثابةً للناس، وأمناً فتقربوا إلى الله (تع) فيه بما أمركم به. وأفضلُ ما أنتم مقربوه إناث الابل، وإناث البقر، وفحول الضأن**" [٢٧]، استدعى الخليفة الفاطمي حادثة (ذبح اسماعيل)[٢٨]، ذلك الأثر التاريخي الذي تناقلته الكتب السماوية، دليلاً على عظمة شهر ذي الحجة. فقد جاء الكاتب بهذا الحدث ليدلل على الأضحية، وأهميتها، لذا جعل الخليفة الفاطمي من توظيف هذه الحادثة دليلاً على عمق ثقافته التاريخية، وعلمه باحوال الامم السابقة؛ فقد "اهتم خلفاء الفاطميين، بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية، فضلاً عن التعاليم المذهبية التي تتصل بالدعوة الاسماعيلية وشرح هذهِ التعاليم

وتثقيف الناس بها"[٢٩]، وهكذا يتأكد العمق التاريخي وتأثيره على حياة الخلفاء عبر الاهتمام به في سلوكهم. وجاءت المرجعية التاريخية في كتابٍ عن المعز الفاطمي لأهل (فاس) بالأمان، "**واللهِ إنْ أردتُ بذلك إلا هلاكَهم؛ بإقامة حجة الله تعالى عليهم، وإلا فقد علمتُ أنهم متى جاءهم وهم يرون أنهم في قوة وأنَّ عساكرنا قد سئِمتْ من المقام عليهم وانحلَّ بعضُها عنهم، وجاءهم مثل هذا مِن عندي، أنَّهم يَدفعونه. فأردتُ أن اجْعَله ككتاب رسول الله (صلع) إلى صاحب فارس إذ أتاه فمزَّقه، فمزقَّ الله تعالى ملكه**"[٣٠]. وقف المعز الفاطمي هنا على حَدَثٍ تاريخي مهم في حياة المسلمين، فوظفه بما جعله يتعالق فنياً مع مضمون نصَّه النثري؛ محاولة منه في إظهار المخزون الثقافي، وبخاصة التاريخي، واستثماره في تعميق دلالة النص، بما يجعله متجذراً مع الماضي؛ وهذا ينسجم مع الأفكار التي يريد الخليفة الفاطمي أن يوصلها للمتلقي؛ عبر الموازنة بينه، بوصفه خليفةً شرعياً، وبين أجداده العظماء الذين ورَّثوا اليه شرعية الخلافة، ولاسيما أن حادثة ارسال رسول الله (**صلى الله عليه وآله وسلم**) رسولاً إلى (كسرى)[٣١] مشهورة مشهورة في التاريخ؛ ولعلَّ الخليفة الفاطمي أراد بهذا التواشج الفني، اظهار فضله على الناس، فضلاً عن الفخر بأجداده، واستذكاراً لعظمتهم، ومجدهم؛ فغالباً ما يقوم الخليفة الفاطمي بربط الأحداث التي تقع في دولته بالتاريخ الإسلامي؛ ذلك أن "نظرة الاسماعيلية إلى التاريخ، هو عبارة عن تاريخ يفسر الوقائع، ويؤولونها، ويضفون عليها من خلال المذهبية، ما يجعل حوادث التاريخ حلقات مسلسلة منطقية هادفة إلى غرض محدد يمثله تحقيق المثل الاعلى الذي يرمي اليه التاريخ الإسلامي عامة، والتاريخ الاسماعيلي خاصة"[٣٢]، فعقد المقارنة في النص النثري ما هو إلا وسيلة من وسائل التهديد والوعيد الذي يعتمد على

شرعية الحجة، وهيمنة القوة، للدولة الفاطمية.

وورد عن المعز الفاطمي حينما أثنى على قاضٍ من قضاته بحضرته، قال: "**بذلك أمرناه وغيره من عمالنا، فمن امتثل أمرنَا فقد سَعِدَ في دُنياه وأخراه، ومَنْ خالفنا برئنا إلى الله منه كما برئ جدنا رسول الله (صلع) إلى الله (عج) من خالد بن الوليد لما خالف أمره**"(٣٣)، عمد الخليفة الفاطمي إلى توظيف حدثٍ تاريخي مهما في حياة المسلمين؛ ليكون حافزاً له في إدارة الدولة، إذ إنه يمثل خليفة إسلامي شرعي، يهتدي بسيرة جدهِ محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** .

إن السيرة التي أشار إليها الخليفة، تمثل محاولة منه لتكثيف دلالة الروابط النسبية بينه، وبين الرسول محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وشحن النص بالمعطيات الثقافية التي ينطلق منها لمخاطبة المتلقي، ذلك حينما يجعل الخليفة الفاطمي من الحادثة التاريخية التي حدثت في زمن الرسول محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، منطلقاً له في السلوك، وفي رعي الرعية(٣٤). فالالتزام بأوامر الخليفة الفاطمي من قبل رجال الدولة يعد واجباً مفروضاً على أتباعهم، وبهذا فإن توظيف حادثة براءة النبي محمد **(صلى الله عليه وآله وسلم)** واله من فعل خالد بن الوليه هو معادل موضوعي لمِن يرفض أو يعصي أوامر الدولة الفاطمية من قبل الوزراء أو القادة. فالحوادث التاريخية تشكل " انتقاصاً جديداً، وامتداداً قديماً على وفق رؤية المبدع، واستثمار لثقافته التاريخية المخزونة التي أسهمت في أغناء النص"(٣٥)؛ لذا كان هذا التوظيف التاريخي ذا تعالق دلالي بين الثقافة التاريخية للخليفة والتي يرى فيها استمراراً طبيعياً لما يشاهده اليوم في وضع الدولة الإسلامية، من حيث قبول، أو عصيان أوامره، فالاحداث التاريخية هي معين كبير للتشريع الفاطمي، الذي يؤمنون، ويعتمدون على مبدأ العصمة في الخلافة الإسلامية فكل

عمل يعملونه يجدون له أساساً تاريخياً مع افعال النبي وأهل بيته المعصومين، ليكون لهم حجة دامغة على رعيتهم.

وظهرت المرجعية التاريخية في توقيع عن المعز الفاطمي، حيث آخى بين جوذر، وجوهر [٣٦] القائد قائلاً: "**يا جوذر مازايلك التوفيق والسعادة مُذْ كنتَ ولايزا يلانك ما بقيتَ حتى يختمَ اللهُ لك بالسعادةِ الدائمةِ والنَعيمِ المقيمِ بحول اللهِ وقوتهِ ومنّهِ وسَعةِ فَضْلهِ. فاكتب اليه "من جوذر مولى أَمير المؤمنينَ إلى أخيهِ جوهر مولى أمير المؤمنين" ففي ذلك تشريف لا أعدم الله ذوي نصيحتنا السعادة في الدُنيا منه فقد آخينا بينكما كما آخى جدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه**" [٣٧]، استدعى المعز الفاطمي في هذا النص، واحدة من أبرز الحوادث التاريخية في الإسلام، وهي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار [٣٨]، ولعل المتلقي يجد في هذا التوظيف مدى أهمية رموز الدولة الفاطمية، ومدى أهميتهم بالنسبة للخلفاء الفاطميين، إذ إن النص النثري اكتسب معاني تتفق وهدف الخليفة من إيجاد صيغة توافقية، تنسجم مع طبيعة الحدث، الذي يريد أن يثبته، وهو المؤاخاة، محاولة لتثبيت الاستقرار السياسي؛ بالاعتماد على أهم شخصيتين في الدولة، وهما جوذر، وجوهر القائد، وهي كذلك محاولة لإيجاد الود، والمحبة بين الطرفين، ولاسيما أن الدولة الفاطمية في مرحلة "قبول رضا المسلمين في أرجاء المعمورة، لكسب تأييدهم لمكانتهم الدينية، خصوصاً اذا علمنا أن الخلافة الفاطمية كانت تعمل بقدر ما تستطيع من اجل منافسة الخلافة العباسية[٣٩]، بشكل يجعل خلافتهم أكثر استيعاباً للمذاهب والأديان المختلفة في الأقاليم المشرقية العربية وغير العربية، فالإسلام –وقتها– عبر حدوداً كثيرة من دول القارة الآسيوية وغيرها؛ لذا يتطلب من الفاطميين توحيد صفوفهم الداخلية لمواجهة العدو الخارجي، وبهذا فقد أوجد الخليفة في نصه

اتحاد الفكرة بين الحدث التاريخي، ومؤاخاة جوذر وجوهر، اعتماداً على إيمان الخليفة بنفسه بأنه يمثل دور النبي **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وأعطى لنفسه الحق فيما يقوم به.

وجاءت المرجعية التاريخية عند ابن أبي الصلت الداني بقوله: "**وزعم قَومُ أنّ الأهرام قبورُ ملوكٍ عظام، آثروا أن يتميزوا بما على سائرِ الملوك بعد مماتهِم، كما تميزوا عنهم في حياتِهم، وتوخوا أنْ يَبْقى ذكرهم بسببها على تطاول الدَهر، وتراخي العصور ولمَّا وصل الخليفةُ المأمون إلى مصرَ أمر بنقبها، فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شَديد، وعناءٍ طويل، فوجدوا داخله، مهاوي ومراقي يهول أمرها، ويعسر السلوك فيها، ووجدوا في أعلاها بيتا مُكعبا، طول كل من اظلاعه نحو من ثمانية اذراع وفي وسطه حوض رخام مطبق، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية، قد أتت عليها العصور الخالية، فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه، ويقال: أنَّ النفقة على نقبه كانت عظيمة، والمؤونة شديدة**"[٤٠]، وَلدَّت حادثة نقب أهرامات مصر، دلالة معنوية لدى المتلقي، فالكاتب يصف أعجوبة الاهرامات التي بناها فراعنة مصر، وبهذا فإن محاولة (المأمون) نقب الاهرامات، جاءت على خلفية التصورات نحو الاهرامات، فجاء النص النثري بدلالة مركزة، وخطاب للمتلقي بزيف النظرة المهولة من قبل المتلقي للملوك بعد وفاتهم، فهي رسالة حقيقية تمثل الواقع لمصير الإنسان بعد الموت، وبهذا فإن الكاتب وظف المخزونات المعرفية لديه، ليعبّر عن القيم التي تؤمن بها، بنهاية العظمة، في يوم من الأيام، ولا يبعد أن الكاتب اراد بهم الوصف التعريفي بـ الأفضل الذي سجنه، ليصور الظلم الذي وقع عليه، إذ غالبا ما يلجأ المبدع في توظيف الموروث التاريخي لـ "تأكيد على عمق تأثره بالتراث؛ وليفصح من خلالها عن التجارب الإنسانية التي

مرت بها الأمم من خلال اعادة تلك التجارب من سياق التشكيل الفني للألفاظ، والعبارات والأفكار"[٤١]، وهو يشير بها إلى عظمة الأمم السابقة، بفنونها ونجاحه بالعمران.

وجاءت المرجعية التاريخية في تعزية (الأفضل) بوفاة أخيه "**والناس- وإن رُغِّبوا في التسلي وحثوا على حُسْنِ التعزي؛ عالمون أن في إفاضة الكئيب لدمعته ما يُذهب من لوعتهِ، وفي إرساله لعَبْرَتهِ ما يُعينُه على سلوته. يروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال- عند موت ابنه أيوب- لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حَيْوَة: إني لأجِدُ في كبدي جمرةً لا تطفِئها إلا عَبْرةٌ، فقال عمر: اذكر الله يا أمير المؤمنين، وعليك بالصبر. فنظر إلى رجاء بن حَيْوَة – كالمستريح إلى مشورتهِ – فقال رجاء: أفِضْها يا أمير المؤمنين فما بذاك مِن بأسٍ، فقدِ دَمِعَتْ عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ابنه ابراهيم، وقال: تَدْمَعُ العينِ، وَيحْزَنُ القلبُ ولا نقولُ ما يُسْخِطُ الرَّبَّ، وإنا عليك يا ابراهيمُ لمحزونون. فأرسل سليمانُ عَيْنَهُ فبكىَ حتىَّ قضّى أَرْباً، ثم أقبل عليهما، فقال: لو لم أنزِف هذه العَبرةَ لانصَدَعَتْ كبَدي**"[٤٢]، فنص التعزية هنا يجاري مبدأ السنة النبوية في التعزية ، وذلك في موضوع "البكاء على الفقيد" ، وهي مسألة اختلافية بين المذاهب أراد ابن الصيرفي أن يستدل على أنّها سنة متبعة ،حينما استدعى موقف الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)** بعد فقد ابنه "ابراهيم" ، وكيف تأسى بذلك "سليمان بن عبد الملك" ، وهو من خلفاء بني أمية ، فالكاتب يريد أن يستدل على سنة البكاء على الفقيد من سيرة مذاهب العامة ؛ لأن منهم من يؤآخذ المذهب الشيعي على جواز " البكاء على الفقيد" وإظهار الجزع عليه، وبخاصة أن المذهب الشيعي معروف بإحياء ذكرى استشهاد الأئمة المعصومين **(عليهم السلام)** ، وخصوصاً ذكرى استشهاد الإمام الحسين **(عليه السلام)**، فأراد ابن

الصيرفي أن يستدل على سنة البكاء استدلالاً يستند فيه على سيرة الخلفاء المسلمين السابقين، فضلاً عن سيرة الرسول الاعظم **(صلى الله عليه وآله وسلم)** وهذا أكبر حجة.

ولا سيما أن المرجعية الثقافية في جواز البكاء عند الدولة الفاطمية، اتخذت منهجاً خاصاً، تكاد تنفرد فيه هذهِ الدولة؛ ذلك أنهم يذهبون إلى حرمة النواح، والبكاء على الميت، بدعوى أنها سنة نبوية يسير عليها الخلفاء.

فقد ورد في رقعة للخليفة الفاطمي القائم من قبل ولده أبي عبد الله يسأل أن يطلق البكاء والنواح على ولد مات له فخرج الجواب عن ذلك، "وقفنا يا جوذر سلمك الله على ما سأل فيه الأحمق من اطلاق البكاء له، والنوح على ولده، وهذا ما لا يتمكن منه شيء ولا يتهيأ، لأنا إنما أنكرنا عليهم ما أمر الله ورسوله بإنكاره"[٤٣]. ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن تحريم البكاء جاء من الخليفة المنصور الفاطمي؛ فقد كان البكاء جائزاً، وبخاصة على الخلفاء الفاطميين انفسهم، "فقد بُكي على المهدي بالله مدة من أيام القائم، وكثير من الأئمة لم يُبكَ عليهم"[٤٤]، ذلك أن المنصور بالله الفاطمي خاطب ولده المعز عند احتضارهِ قائلاً: "ألم أنهك عن البكاء، لاتعدْ إلى هذا ولا تستقبل ما خوَّلك الله من دولتك بالحزن والبكاء، بل فاخرج بما آتاك الله من دُنياك وما أصارني إليه وأعطانيه في آخرتي" [٤٥]، وبهذا يتضح أن الخليفة الفاطمي استند إلى خلفية معرفية تاريخية خاصة بهم في منع البكاء على الميت، وهذهِ المرجعية التاريخية تبين الأصول الفكرية التي يعتمد عليها الخلفاء الفاطميون في بثها في المجتمع، وبهذا كان هناك هدف سياسي يبتغيه الخليفة الفاطمي في منع البكاء، لـ "توحيد الشعائر والطقوس، ولصهر جميع سكان المملكة المسلمين من السنة والاسماعيلين في أمة واحدة بقيادة الامام الفاطمي"[٤٦].

وقد حرص ابن الصيرفي على سياق الأدلة في جواز البكاء؛ كي تكون حجة دامغة، ووسيلة للأفضل في ابداء رغبته في البكاء بقوله: "لو لم أنزف هذهِ العبرة لانصرَعت كبدي"؛ وبهذه الأدلة التي ساقها ابن الصيرفي سوف لن يجد (الأفضل) حرجاً في مخالفة أحكام الخلافة الفاطمية، وهي فرصة كبيرة وَجَد فيها ابن الصيرفي القرب من الأفضل، في محاولة لكسب رضاه، وحبه، في خروجه من هذه الحيرة، فسياق الأدلة في جواز البكاء هو ضرب لمنظومة الأحكام الفاطمية، وهي تصور مدى النفوذ، والهيمنة، والسلطة التي يتمتع بها (الأفضل)، الذي خالف الخلافة في تطبيق أحكامها الشرعية. وهذا ما جعل الكاتب يستحضر تلك المعاني الموروثة، ليضفي على نصه دلالة عميقة متعالقة مع الأحداث، بما يسهم في بناء النص، من حيث رفده بالثقافة التاريخية الضرورية لإقناع المتلقي بالأفكار التي يحملها.

وفي "الإشارة إلى مدح الأفضل"[٤٧] جاء توظيف مجموعة من الحوادث التاريخية، "**لا جَرَمَ أن أمير المؤمنين يرفُل من تدبيره في ملابس العزَّ الفاخرة، ويتحقق أن النعمة به في الدُنيا برهانُ ما أعدَّ له في الدار الآخرة، ويرغب إليه في الصلاة على جدَّه محمد سيد ولد آدم، وأشرف من كلَّ مَن سلف وقتُه وتقادمَ، والمبعوثِ بشيراً ونذيراً إلى كافة البشر، والمخصوص بتسبيح الحَصى، وحنين الجِذْع، وانشقاق القمر، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب، مُستودَع سرَّهِ، ومنتهى علمه ومقرِّه، ومَن قاتل الجن فسُقوا بعَضْبِهِ كأسَ المنون، وردَّت له الشمسُ كما رُدَّت من قبله ليُوشَعَ بنِ نون، وعلى آلهما الهداة الائمة الذين زالت بإرشادهم كلُّ شُبهة وغُمَّة، ونُسِخَتْ بأنوارهم ظُلَمُ الشكوك المُدلهِمَّة، وتنقَّلت فيهم سيادةُ هذا العالم، وسياسة هذه الأمة، وسلَّم عليهم اجمعينَ تسليماً، وزادهم تشريفاً**

وتكريماً وتعظيماً"[٤٨]، وظف الكاتب في هذا النص حوادث تاريخية، منها ما هو متصل بحياة الرسول الاعظم **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، من (تسبيح الحصى، وحنين الجذع، وانشقاق القمر)[٤٩]، وكلها معجزات الهية، جاء بها الكاتب لغرض الثناء على الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، ومن موضع الافتخار بالنسب، فقد اردف الكاتب حادثة (رد الشمس) [٥٠] للإمام علي **(عليه السلام)**، كما رُدت ليوشع بن نون، ومن هنا فإن النص الفني النثري يتميز بهذا الحضور التاريخي، إذ خلق منه الخليفة نصاً ذا نسيج يتسم بالفضائل الإلهية التي حباها الله سبحانه للرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، ولأمير المؤمنين **(عليه السلام)**؛ لذا جاء متناغماً مع قصة الخليفة في الفخر بفضل اجداده، وهو تصريح علني بفضائل أمير المؤمنين **(عليه السلام)**، بعد ما كان مغيباً في أيام الدولة العباسية، إذ "كان للعامل المذهبي دور كبير في طريقة تعامل الفاطميين في مصر"[٥١]، وهو دور التسامح واللين، وليس القوة والجبر، عن طريق نشر فضائل الرسول **(صلى الله عليه وآله وسلم)**، وأهل بيته ومن ثَمَّ فإن هذا النص النثري توهج بالدلالة الثرة، التي تحرك ذهن المتلقي نحو أفضلية الخلفاء الفاطميين بالزعامة للخلافة الإسلامية، كونهم ينتسبون إلى رسول الله **(صلى الله عليه وآله وسلم)**. وجاء عن الفائز الفاطمي في تقليد طلائع بن رُزِّيك الوزارة من إنشاء ابن الخلال،"... **وقد كان أمير المؤمنين حين أُبهمت الأمور، وحرِجت الصدور، وحارت الألباب، واستشرف للارتياب، يرجو من الله أن يفجأه منك بالفرج القريب، ويُصمى أعداءه من عزمك بالسهم المصيب، واستجاب الله دعاءه فيك بما ماثل دعاء جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضاهى، وحصل في ذلك على معنى قوله تعالى:** ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ ....﴾[٥٢]. **فتقلَّد ما قلدك أمير**

المؤمنين من هذه الرتب العالية، والمنزلة التي قرَّب عليك تناولَها أعمالك الزاكية، والمنصب الذي تحكم فيه بأمر أمير المؤمنين وتنطق بلسانه، وتبطش بيدِه وتحب وتبغض بقلبه وجَنانه جارياً على رسمك في تقوى الله، وخشيته، واتباع مرضاته واستشعار رجعته ..."[٥٣]، استحضر الخليفة حادثة تحويل القبلة؛ لتكون منطلقاً تفاؤلياً له في إيجاد أسباب اختيار الوزير، لقد كانت (الحادثة)[٥٤] منسجمة مع ما يمر به الخليفة من حيرة في أمره؛ لذا كان توظيفها بقصد علة الاختيار، أي أن المتلقي يلحظ أن أعمال الخليفة لم تكن من عنده، بل هي مسددة بتسديد الله، فضلاً عن أهمية اختيار الوزير، الذي حاول الخليفة أن يؤسس رؤية فكرية، وهي الصلاح فيما يعلمه، اعتماداً على منزلته الدينية.

وغالباً ما يهدف المبدع في توظيف الأحداث التاريخية الإسلامية إلى أهمية"التراث الإسلامي معناه العام والشامل، إذ إن التراث الإسلامي يشكل عمقاً واضحاً في الذاكرة الإنسانية؛ فيأتي توظيفه بناء عل حاجة فنية وجمالية وثقافية"[٥٥]؛ لذا كان النص النثري غنياً بالمضامين التراثية التي تواشجت مع النص، بهدف تعضيدها، واثراء دلالتها المعنوية.

Abstract

As the Fatimid state takes care of the historical foundation of its thought, we find them using historical contents that contribute to strengthening their arguments on the one hand and in reinforcing their artistic prose texts, on the other. Historical contents are very effective in blowing up the energies of the text. Thus, the Fatimid artistic prose is full of historical content. Which helped the creator to convey the facts to the recipient in an artistic way, and therefore we find that the Fatimid artistic prose is not limited to a single historical reference, but was the historical reference distributed in its texts, dating back to different ages, and this indicates something indicates the culture of tender inherent in them ; For linking Close to their homeland, and this was confirmed by the Fatimids in their texts that Dmnoha various incidents of history, and it came historical reference in the artistic prose Fatimid historical contents of an ancient, dating back to the era before Islam, and the historical implications of Islamic, from accidents, and other battles.

الهوامش

(١) التراث والحداثة، ٣٠.

(٢) أدعية الأيام السبعة، ٤٩-٥٠.

(٣) جاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل فألقاه في العجل، فصار الحلي عجلاً جَسَداً له خوار. وقيل أن الحلي ألقي في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلاً جسداً له خوار، فلما رأوه – بني اسرائيل – قال لهم السامري: هذا الهكم واله موسى، فعكفوا عليه يعبدونه. فقال لهم هارون: يا قوم: انما فتنتم به وإنَّ ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري، فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم. ينظر: الكامل، ١٤٥/١ – ١٤٦.

(٤) ينظر: العالم الشيعي طراق في التقليد والحداثة، ١٥٩.

(٥) م. ن ، ١٥٩

(٦) براءة الإسماعيلية من تهم الضلالة، ٢٠.

(٧) عيون الأخبار، السبع السادس، ٦/ ٣١٤.

(٨) الحسن بن حيدرة، المعروف بالاخرم الفرغاني، قدم إلى القاهرة في أيام الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ابن العزيز نزار، وأظهر القول بحلول الإلاه سبحانه في الحاكم، وصرَّح به، ودعا الناس إلى ذلك وتكلم في تأويل كل ما ورد في الشريعة، بعظائم. فكثرت اتباعه، وخلع عليه الحاكم وحمله على فرس، وبعد مقتله حُمِل الاخرم في تابوت إلى الحاكم فكفنه ودفنه، ينظر: المقفى، ٢٠٤/٣.

(٩) بعث الله اليسع إلى بني اسرائيل. فكان فيهم ما شاء الله، ثم قبضه الله، وعظمت في بني اسرائيل الاحداث، وعندهم التابوت يتوارثونه، فيه السكينة، وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت إلا هزم الله العدو، وكانت السكينة شبه رأس هر، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر، وجاءهم الفتح. فلما عظمت احداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه، وأخرجوا التابوت فاْقتتلوا، فغلبهم عدوهم على التابوت، وأخذه منهم وانهزموا، ودخل العدو ارضهم، ونهب وسبى وعاد، فمكثوا في اضطراب من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون احياناً في غيهم فيسلط الله عليهم مَن ينتقم منهم، فكان هذا حالهم من لدن توفي يوشع بن نون إلى أن بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت، ينظر: الكامل في التاريخ، ١٦٢/١ – ١٦٣.

(١٠) عيون الاخبار وفنون الأثار، ٣١٤/٦.

(١١) أبو القاسم أحمد المنعوت بالمستعلي ابن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، ولي الأمر بعد أبيه المستنصر بالديار المصرية والشامية، وفي أيامه اختلّت دولته دولتهم، وضعف أمرهم، وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والفرنج، وكانت ولادة المستعلي لعشر ليالٍ بقين من المحرم سنة ٤٦٩ هـ بالقاهرة، وبويع في يوم عيد غدير خم، سنة ٤٨٧ هـ، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء سنة ٤٩٥ هـ، وله من العمر ثمان وعشرون سنة. ينظر: وفيات الأعيان، ١/ ١٧٨-١٨٠.

(١٢) مجموعة الوثائق الفاطمية، ٢١٣.

(١٣) وقد ذكرت بعض هذه القصة في سورة آل عمران :١٢، إذ يقول تعالى: ... بعدما غضب موسى من قومه؛ دعا عليهم، فقال الله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾، فندم موسى خشية فقالوا له: فكيف لنا بالطعام؟ فأنزل الله المن والسلوى، فقالوا: أين الشراب؟ فأمر موسى﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ لكل سبط عين فقالوا أين الظل؟ فظلل عليهم الغمام. فقالوا أين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب ثم قالوا: ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾، فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى. ينظر: الكامل، ١/ ١٥٠.

(١٤) الكشف، ١٦٥.

(١٥) العالم الشيعي طرائق في التقليد والحداثة، ١٧٠.

(١٦) صبح الأعشى ٣٨٣/٩.

(١٧) أمر الله سبحانه موسى (عليه السلام) أن ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء-يعني برصا- فادخلها واخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور، ثم ردها فعادت كما كانت فقيل له هذا برهان من ربك إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين، الكامل ١٣٧/١.

(١٨) ينظر: الدولة الفاطمية تاريخها السياسي والحضاري، ١٧٣.

(١٩) صبح الأعشى، ٩ / ٣٨٥.

(٢٠) الافضليات، ٢٢٥.

(٢١) في أدب مصر الإسلامية، ١٣٧.

(٢٢) الافضليات، ٢٠٩ – ٢١٠.

(٢٣) سأل سليمان النبي الله سبحانه وتعالى أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدهِ، فاستجاب له، وسخر له الانس، والجن، والشياطين، والطير، والريح، فكان إذا خرج

من بيته إلى مجلسه، عكفت عليه الطير، وقام له الانس، والجن حتى يجلس. ينظر: الكامل، ١/١٧٥.

(٢٤) العلاقات بين الامويين والفاطميين، ٧٩.

(٢٥) الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة، مجلة الموسم، العدد ٦٩- ٧٠، ٢٠.

(٢٦) ينظر: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ١/ ٤١.

(٢٧) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ٤٢٨.

(٢٨) قيل: أمر الله ابراهيم (عليه السلام) بذبح ابنه فيما ذكر أنه دعا الله أن يهبَ له ولداً ذكراً صالحاً فقال: رب هب لي من الصالحين، فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال: اذن هو لله ذبيح، فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له، أوف نذرك الذي نذرت. ينظر: الكامل، ١/٨٦.

(٢٩) ينظر: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، ٢٦٨.

(٣٠) المجالس والمسايرات، ٤٩٢.

(٣١) جاء كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عبد الله بن حذافة إلى كسرى، فمزَّقه؛ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ((مُزِّق ملكه)) واتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخبر من السماء، أن الله قد سلَّط على كسرى ابنه سيرويه؛ فقتله في شهر كذا، وليلة كذا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف، والحافر. ينظر: الكامل في التاريخ، ٢/٩٧-٩٨.

(٣٢) ينظر: العلاقات بين الامويين والفاطميين، ٣٠٠.

(٣٣) المجالس والمسايرات، ٢٤٩.

(٣٤) إشارة إلى حادثة الغميصاء، موضع في بادية العرب قرب مكة يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة الذين أوقع بهم خالد بن الوليد عام الفتح، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم اني أبرأ إليك مما فعل خالد، ووداهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، على يدي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، معجم البلدان، ٤/ ٢١٤.

(٣٥) ينظر: المرجعيات الثقافية الموروثة، ٣٣٩.

(٣٦) القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب الرومي، كان من موالي المعز العبيدي سيَّرة المعز من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الاخشندي، فدخلها سنة ٣٥٨ هـ وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليه، ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز سنة ٣٦٢ هـ، فحلَّ المعز محلَّه، وكان من أعماله في مصر

أن قطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية، وكذلك اسمهم مِن على السكة، وعوَّض عن ذلك باسم مولاه المعز، وأزال الشعار الأسود، وألبس الخطباء الثياب البيض، وأمر بزيادة عقيب الخطبة "اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم صلّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين، توفي سنة ٣٨١ هـ". ينظر: وفيات الأعيان، ١/ ٣٧٥- ٣٧٩، الأعلام، ٢/ ١٤٨.

(٣٧) سيرة الاستاذ جوذر، ١٣٥.

(٣٨) وقد آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه من المهاجرين والانصار، السيرة النبوية لإبن هشام، ١/ ٥٠٤.

(٣٩) حسن المحاضرة، ٢/ ١٩١.

(٤٠) الرسالة المصرية، ٧.

(٤١) المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعدي، ٩٨.

(٤٢) الأفضليات، ٢٩٩.

(٤٣) سيرة الاستاذ جوذر، ١٠٠.

(٤٤) ينظر: المجالس والمسايرات، ١٠٣.

(٤٥) ينظر: م. ن، ١٠٢- ١٠٣.

(٤٦) امبراطورية المهدي وصعود الفاطميين، ٥٣٣.

(٤٧) ينظر: الافضليات ، ١١٤.

(٤٨) م.ن، ١٢٠.

(٤٩) جاء عن أبي ذر الغفاري، كان بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبع حصيات أو قال تسع حصيات، فأخذهن في كفه، فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن، ينظر: البداية والنهاية، ٦/١٤٦.

وأما حنين الجذع الذي كان يخطبُ اليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فعُمِلَ له المنبر، فلما رَقي عليه وخطب حنَّ إليه حنين العشار والناس يسمعون بمشهد الخلق يوم الجمعة، ولم يزل يئن ويحن حتى نزل إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتنقه وسَّكنه وخيرَّه بين أن يرجعُ غَصناً طرَّيا أو يُغرس في الجنة يأكل منه أولياء الله، فاختار الغرس في الجنة وسكن عند ذلك. البداية والنهاية، ٦/٣٠٧.

وأما انشقاق القمر فقد جاء عن ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومنهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والاسود بن عبد يغوث، والاسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والنظر بن الحارث، ونظراؤهم. فقالوا للنبي

(صلى الله عليه وآله وسلم): إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقان، فقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " إن فعلتُ تؤمنوا" قالوا نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينادي يا أبا سلمة بن عبد الاسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا، ينظر : البداية والنهاية، ٣/١١٩ – ١٢٠.

(٥٠) رجوع الشمس للإمام علي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرتان احداهما في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والثانية بعده، اما الاولى لما تغشى الوحي رسول الله توسد فخذ أمير المؤمنين، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس فصلى علي العصر بالإيماء، فلما استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال له "سل الله أن يرد عليك الشمس فتصلي قائماً"، فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً، اما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بتعبير دوابهم، وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفات كثيراً منهم، فتكلموا في ذلك، فسأل الله رد الشمس فردَّت، ينظر: البداية والنهاية، ٨/ ٥٨٦.

(٥١) الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، ١٣.

(٥٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٥٣) ينظر: حسن المحاضرة، ٢/ ١٩١-١٩٢.

(٥٤) في السنة الثانية للهجرة صَرَف الله عزَّ وجل قبلة المسلمين من الشام إلى الكعبة، إذ كان الناس يصلون قِبَل بيت المقدس، فلما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة على رأس ثمانية عشر شراً من مهاجره، كان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر، وكان يصلي قِبلَ بيت المقدس، فنسختها الكعبة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب أن يصلي قِبلَ الكعبة، فأنزل الله عز وجل ﴿ٱ نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ّ﴾، ينظر: تاريخ الطبري، ٢/ ٤١٦.

(٥٥) ينظر: توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان، أطروحة دكتوراه، ١٧٦.

المصادر

١. أدعية الأيام السبعة، المعز لدين الله الخليفة الفاطمي، تحقيق وتعليق وتقديم: اسماعيل قربان حسين بونا والا، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

٣. الأفضليات، ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بأبن الصيرفي، تحقيق: دكتور وليد قصاب، دكتور عبد العزيز مانع، دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٤. امبراطورية المهدي وصعود الفاطميين، هاينتس هالم، ترجمة: محمود كبيبو، ط ١، الورّاق للنشر، بيروت، ٢٠١٣م.

٥. البداية والنهاية، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨.

٦. براءة الإسماعيلية من تهم الضلالة، د. جاد الحق سيد الكاظمي، دار نينوى للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ – ٢٠١٠م.

٧. تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، الداعي إدريس عماد الدين، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥.

٨. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (٢٢٤هـ – ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط٢.

٩. تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، د. عطية القوصي، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

١٠. التراث والحداثة، د. عبد المجيد عابدين، مركز الدراسات العربية.

١١. توظيف المرجعيات الثقافية في شعر محمد مردان، اطروحة دكتوراه، محمد جواد علي، كلية التربية، جامعة تكريت، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

١٢. حسن المحاضرة، في اخبار مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٣. الدولة الفاطمية تاريخها السياسي والحضاري، د. عرب دعكور، دار المواسم للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٤. الرسالة المصرية، ابو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي، المتوفي سنة

٥٢٨هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥١.
١٥. سيرة الأستاذ جوذر، ابو علي منصور العزيزي الجوذري، تحقيق: الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد – مصر.
١٦. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري ابو محمد جمال الدين (ت ٢١٢هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ الشلبي، شرطة ومطبعة البابي الحلبي واولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.
١٧. صبح الاعشى في صناعة الإنشا، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.
١٨. صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي، د. علي محمد الصلابي، دار الفتح للاعلام العربي، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
١٩. العالم الشيعي طراق في التقليد والحداثة، تحرير: فرهاد دفتري، امين ب. حاجو شاينول جيوا، ترجمة سيف الدين القصير، دار الساقي، بيروت – لبنان، بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية، الطبعة الاولى، ٢٠١٨م.
٢٠. العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الاندلس والشمال الافريقي (٣٠٠هـ – ٣٥٠هـ)، د. فتحي زغروت، دار التوزيع والنشر الاسلامية، مصر – القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
٢١. عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ادريس عماد الدين القرشي، تحقيق: الدكتور مصطفى غالب، دار الاندلس للطباعة والنشر.
٢٢. الكامل في التاريخ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الاثير، توفي سنة (٦٣٠هـ)، تحقيق: ابي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
٢٣. الكشف، جعفر بن منصور اليمن، تحقيق: شروطمان، الوراق، العراق – بغداد، ط١، ٢٠١٠م.
٢٤. المجالس والمسايرات، القاضي النعمان بن محمد المتوفي سنة (٣٦٣هـ)، تحقيق: الحبيب الفقي، ابراهيم شيوخ، محمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨م.
٢٥. مجموعة الوثائق الفاطمية، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، دكتور جمال الدين شيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢٦. المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الاندلسي عصري الطوائف والمرابطين، د. حسين مجيد الحصونة، دار الاسلام.
٢٧. مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
٢٨. المضامين التراثية في شعر أبي العلاء المعدي، دراسة موضوعية فنية، الدكتورة اسماء صابر جاسم التكريتي، دار غيداء للنشر، عُمان، الطبعة الاولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
٢٩. معجم البلدان، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٣٠. المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
٣١. الموسم، الدعوة الفاطمية دعوة الحق والحضارة، د. علي حسين الخربوطلي، العددان ٦٩–٧٠، السنة العشرون.
٣٢. الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، التجمعات الشيعية في بلاد أفريقيا العربية، اعداد: اسامة شحادة، هيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١م.
٣٣. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان، ٦٠٨هـ – ٦٨١هـ، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر، الطبعة السادسة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٣م.